

تربية

"جماعة مريم ومرتا" تعالج النساء المعتنقات: مصالحة المرأة مع جراحها

لم يشهد لبنان منذ مدة طويلة التفاتة واحدة نحو المرأة المعتنفة، على اختلاف مصادر التعنيف في مجتمعنا، لتعيد اليها مكانتها كإنسان. انسداد ابواب الجمعيات، حينها، دفع الرهبان في أبرشية صربا المارونية الى تأسيس جمعية "جماعة مريم ومرتا" لعلاج المعتنقات كمكان يأوي المرأة المعتنفة والمنبوذة، يصلحها مع ماضيها وجراحها قبل بناء حياة جديدة



رئيس جمعية "جماعة مريم ومرتا" لعلاج المعتنقات الاب عبده ابو خليل.

بدأ المسؤولون في جمعية "جماعة مريم ومرتا" لعلاج المعتنقات من دون اي خبرة في المجال الذي اختاروه، رسالة الى الانسان. فانضم اليهم اختصاصيون يعملون حاليا على مدى 24 ساعة. مع السنوات العشرين من عمر هذه الجمعية، لم يتضاءل عدد المعتنقات اللواتي لجأن اليها، بل ازداد من 20 امرأة الى 70 في الوقت الحاضر.

اهمية العلاج في هذه الجمعية هو في استعادة المرأة نفسها بعد مراجعة ذاتية، محورها الاسئلة: اين اخطأت وبماذا اصابت وكيف تصحح مسيرتها؟. هذه المسألة هي التي تنقذ المرأة من آثار التعنيف النفسي قبل الجسدي. اذا الفرصة متاحة لكل امرأة في لجوئها الى الجمعية على مدى عامين لاعادة النظر في وضعها ككل، اي ماذا بعد هذه الجماعة، اين ستكون وبماذا ستفعل، واي مهنة ستختار، واي اسلوب تربوي ستبتهج مع اولادها؟ في حوار مع "الامن العام"، يتحدث رئيس

جمعية "جماعة مريم ومرتا" لعلاج المعتنقات الاب عبده ابو خليل عن تجربة الجمعية، وكيف تتولى معالجة النساء المعتنقات والمنبوذات.

■ متى تأسست جمعية "جماعة مريم ومرتا" لعلاج المعتنقات وهل وراء تأسيسها حادثة معينة؟

□ بدأ اهتمامنا بهذه القضية عام 1998، في بداية دعوتي الكهنوتية، حيث واجهنا في تلك الفترة حالات صعبة لنساء معتنقات. كان اولها حادثة حصلت مع ام معتنفة طردت من بيتها، فلجأت الى الرعية طالبة الحماية خصوصا في اثناء الليل كونها ملاحقة قانونيا ومهددة، فلم تستقبلها اي جمعية ولا حتى الاديرة ايضا. الحادثة الثانية كان بطلها سفاح القربي الذي ادت افعاله المشينة الى هرب الفتاة من بيتها ولجوتها الى الرعية. اجرينا آنذاك اتصالات بجمعيات عدة لايواء هذه الفتاة، فلم نجد تجاوبا من قبلها، الامر الذي دفعني الى توفير مكان لمنامتها في الرعية. بعد فترة قصيرة، واجهنا مشكلة أكثر صعوبة من سابقتها، تختصر وضعنا قانونيا صعبا لأم معتنفة يرافقها اطفالها الثلاثة، فاصطدمنا بالمشكلة نفسها بعد اتصالات قام بها المطران غي نجيم الذي كان حينها اسقفا لابرشية صربا المارونية. نتيجة ما واجهناه عام 1998 من ابواب مغلقة في وجهنا، انطلقت فكرة تأسيس جمعية "جماعة مريم ومرتا" لعلاج المعتنقات في وقت كانت جمعية الراعي الصالح قد بدأت تهتم بفتيات الشوارع المعرضات للانحراف. عدا ذلك لا وجود حينها لجمعية واحدة في لبنان تستقبل النساء المعتنقات والمنبوذات. لجأنا الى الصلاة، وشكلنا نواة جماعة صغيرة دأبت على التفكير من اجل وضع نظام داخلي للجمعية. حصلنا على العلم والخبر عام 1999، وبدأنا العمل عام 2000 في مركز يقع في منطقة الشياح - عين الرمانة هو كناية عن بيت صغير قدمه لنا احد الاشخاص تاركا وصية يطلب فيها تحويله الى مركز

مخصص لايواء المرأة المعتنفة من دون معرفة مسبقة به.

■ اي حالات استقبلتها الجمعية في بداية نشاطها، وكم بلغ عدد النساء حينها؟

□ بدأنا العمل من دون خبرة في هذا المجال. كنا نستقبل اسبوعيا حالات مختلفة، كضحايا سفاح القربي والخارجات من السجن، او ضحايا العنف المنزلي وحالات دعاة لنساء معرّضات للانحراف. بعد ستة اشهر من بداية عملنا، وصل عدد النساء الى 20. كبر فريق عملنا وانضم اليه اختصاصيون، مساعدات اجتماعيات ومربيات اختصاصيات. توسع نشاطنا فافتتحنا مركزا ثانيا عام 2004 في منطقة النقاش. توصلنا اخيرا الى بناء مركز كبير على قطعة ارض وهبت لنا في منطقة عجلتون - داريا. بانتقالنا الى المركز الجديد عام 2009 اصبح فريق العمل مؤلفا من 20 موظفا من ذوي الاختصاص يعملون 24 ساعة على 24.

■ ما هي هذه الاختصاصات؟

□ لدينا سبع تربيوات متخصصات في هذا المجال لمرافقة المعتنقات وملازمتهم في حياتهن اليومية نهارا وليلا، اضافة الى مساعدتين اجتماعيتين ومعالجتين نفسيتين واختصاصيات في المسائل القانونية للاهتمام بالملفات الخاصة بالمعتنقات، علما ان فريق العمل يتوزع على ثلاث مجموعات تعمل على مدى 24 ساعة. من الضروري القول، هنا، ان جمعية "جماعة مريم ومرتا" تستقبل منذ سبع سنوات اولاد المعتنقات ايضا بسبب ملازمتهم والدتهم منذ طردها من بيتها، ما اقتضى خضوعهم للعلاج النفسي. مع هذا الوضع الجديد، وصل عدد الاشخاص في الجمعية الى 70 شخصا، 35 امرأة و30 طفلا. علما ان هذا العدد يشمل حالات عدة وجنسيات متعددة ومشكلات اجتماعية مختلفة، منها الامهات العازبات، العنف الاسري، مكتومات القيد، الخارجات من السجن، وكل امرأة متروكة من اهلها واقاربها منذ سنوات.

■ ما هي السبل المتبعة لوصول هؤلاء النساء الى الجمعية؟

□ الوسائل متعددة، منها الوزارات والنيابات العامة والمحاكم والجمعيات مثل "كفى"، ◀

المقال

ضريبة التمرد

في غياب المرجعيات الداعمة للانسان لحظة وقوعه في مشكلات معقدة، لا يجد سبيلا الى الخروج منها، تطل المبادرة الفردية على وضع سوداوي كمنقذ لمن استحال عليه انقاذ نفسه. في الاساس، هدف كل مبادرة فردية انقاذ ما تبقى من الانسان العاجز عن ايجاد حل جذري لوضعه الشخصي او المهني. حقيقة تضعنا امام حقيقة اخرى تتمثل في ما امتاز به الشعب اللبناني عبر تاريخه الحديث من مبادرات فردية، انقذت كثيرين من ابرزها، انشاء جمعيات لايواء المهتمين والمنبوذين والمعنفين واليتامى وحالات اخرى مأسوية، الى درجة بات لكل جمعية اختصاصها الذي تتفرد به بين جمعيات اخرى. بمعنى تقاسم المهمات في ما بينهم لتسهيل سير العمل في المجتمع اللبناني الذي باتت ميزته الاساسية تعنيف الاخر، خصوصا المرأة.

منذ سنوات تكاثرت الاسئلة على السنة اللبنانيين عن اسباب ازدياد حالات التعنيف وجرائم قتل الزوج زوجته. مع هذه التساؤلات، عادت الى الازهان صور من الماضي تكشف عن واقع المرأة والصفات التي ميزتها في تلك الايام. ففتين انها كانت مسالمة، قنوعة، هادئة، خاضعة للرجل في كل المسائل، الشخصية والعائلية، فلا تعارضه ولا تناقشه في اي مسألة تتعلق بهما او بغيرهما. الامر الذي لم يعرضها للتعنيف وليس للقتل. بمعنى آخر، ظاهرة تعنيف المرأة على يد الزوج او احد افراد العائلة التي اصبحت سمة العصر، هي ضريبة التمرد بعدما استفاقت المرأة متأخرة على حقوقها المسلموبة منذ ما قبل الزواج.

ربما لم يكن الاقدام على خطوة الزواج عند نساء كثيرات، الا لتحقيق الحرية الشخصية المفقودة مع الاهل الى حد حرمانها من ردود الفعل لا الفعل فقط، ليشكل الزواج في ذهنها فرصة لتعويض ما افتقدته من حقوق من دون وجه حق.

مع حلمها ببناء حياة جديدة تحدد المرأة سلم اولوياتها، بشكل تكون حياتها مع هذا الترتيب الجديد مغايرا لتفاصيل حياتها ما قبل الزواج. عند اول صدمة او خيبة تفاجأ بها من شريك حياتها، لا تكون ردة فعل المرأة آنية، بل تعود بها الى الوراء البعيد ليكون موقفها الحالي رد اعتبار على مواقف لم تتخذها في حياتها السابقة، ما يعني خوضها معركة اثبات وجود واهلية حان وقتها ومنذ مدة طويلة كفعل، لا كرد فعل هذه المرة.

في الواقع، هناك تغيير جذري في جوهر العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة. ولا ننكر ان الجهتين تتحملان مسؤولية كل حدث في حياتهما وكل فعل ايضا. عندما نعلم ان التعنيف هو تعبير عن غضب ندرك ان الجهة الاخرى، اي المرأة، هي وراء اثاره هذه المشاعر. اي هي شريكة غير مباشرة في هذا الفعل. بالتالي فهي مسؤولة عن تعنيف الرجل لها.

في الاساس، كي يصل الطرفان، الزوج والزوجة، الى هذا المستوى من التعامل، فهذا يعني ان العلاقة بينهما اصبحت مشكلة مستعصية، خسرت معها المرأة كيانها، وبسببها لن يسترد الرجل موقعه كشريك اصيل وكرب للعائلة.

دينير مشنتاف

denise.mechantaf@gmail.com



المعرضات للعيش في الشوارع، خصوصا من تتراوح اعمارهن بين 12 و17 سنة. من اجل هذا الهدف حصلنا، اخيرا، على اذن من النيابة العامة للبدء بتشكيل مجموعة مؤلفة من سبع او ثماني فتيات غير يتيمات، بل متروكات من الاهل والاقارب. ما نهدف اليه هو الوصول الى فتيات الشوارع قبل وصولهن الى اشياء خطيرة.

د. م

وان تعمل على اكتساب مقومات، هذا ما يساعدنا.

■ كم يبلغ معدل اعمار النساء في الجمعية؟
□ تتراوح الاعمار بين 17 و50 سنة، لكن الاكثرية من بينهن فتيات ما بين 20 و35 سنة.

■ اي مشكلة ترصد حاليا في الجمعية؟
□ ننظر الى وضع الفتيات القاصرات

■ هل الهدف من علاج المعنّفات تحدي معنّفها في الدرجة الاولى كعامل يشكل قوة لها في فترة علاجها؟

□ عليها اولاً ان تتحدى نفسها والنقص الذي في داخلها، وان تحمي نفسها من العنف، وان تحدد الجهة التي عنّفتها، المجتمع، الزوج ام من؟ وعليها ايضا ان تسأل نفسها، اين عنّفت ولماذا لم تعش دورها كما يجب؟ عليها ان تعي مكان الضعف في داخلها

□ الصعوبة نسبية. لكننا نجد وضع الاولاد المتروكين في الشارع منذ صغرهم هو المشكلة الاكبر والاكثر تعقيدا، خصوصا الفتيات اللواتي يتعرضن للدعارة والاستغلال والاتجار بالبشر. هذا الامر يخيفنا ويقلقنا على المدى البعيد. بدافع من هذا القلق، كانت لنا لقاءات عمل مع الدكتور سليم الصايغ عندما كان وزيرا للشؤون الاجتماعية، نتجت منها فكرة مشروع هو كناية عن مركز اقامة دائمة لهؤلاء الاولاد يوفر لهم الحماية في اثناء الليل، ما يؤهلهم لعيش حياة الجماعة التي ستصبح مرجعيتهم والجهة الداعمة لهم. لكن هذا المشروع بقي فكرة من دون تنفيذ. صعوبة هذه الحالات تتمثل في عدم تحصين الاولاد داخليا، ما يسلبهم القدرة على ادارة حياتهم بمفردهم، هذا هو قلقنا الدائم.

■ من هو المعنّف دائما في الحالات التي تستقبلها الجمعية؟

□ لا املك هذا الجواب ولا استطيع اختصاره في كلمات. لا استطيع ايضا وضع اللوم على جهة محددة بشكل مطلق. المصادر متعددة ونحن كلنا معنّفون، المجتمع، الدولة حين تقصر في واجباتها، الثقافة العامة والقوانين عندما تكون مجحفة في حق الناس. كل ما ذكرته يخلق جوا من العنف ضحاياه هم دائما الناس المساكين الذين لم يثقوا انفسهم. ليس صحيحا ان الزوج هو الذي يعنّف دائما. لهذا السبب اعتبرت ان جوا من العنف يسيطر على المجتمع اللبناني. مثلا، اذا قصدت امرأة مركزا امنيا لتقديم شكوى ضد زوجها الذي عنّفها، سيسخر منها عناصر هذا الجهاز او سيتطاولون عليها او سيتصلون بزوجها. كل هذه التفاصيل سمعنا بها وهي واقعية. الكل مسؤول، المؤسسات والاهل بشكل خاص المفترض بهم حماية اولادهم لا تعريضهم للتعنيف اللفظي. ماذا نتوقع من هذا المجتمع، طبعاً ان يكون الناس ذئاباً؟ من هذا المناخ العنفي المنتشر نسعى في الجمعية الى خلق جو من العدالة والثقافة والحوار كي يأخذ كل انسان حقه. نحن ندعم المرأة، لكن لم نقل لها مرة واحدة انها على حق على الرغم من دعمنا لها.



مقر الجمعية.

في اختصار، المشكلات الكبيرة والمعقدة التي واجهناها في الجمعية تعود جذورها الى العائلة حيث اتسعت هذه المشكلات، في ما بعد، وعرضت الفتيات لامور كثيرة على الصعيدين الشخصي والمهني. ما يطراً خارج اطار العائلة من مشكلات اجتماعية او زوجية، الشفاء منه يكون اسرع حيث تستعيد المرأة معه عافيتها وقوتها في مدة قصيرة، اذا ما قارنا ذلك بالاشخاص الذين يعانون منذ طفولتهم من مشكلات مع الاهل. في هذه الحال لن تكفي هؤلاء الاشخاص فترة سنتين من العلاج في الجمعية، بعدما تبين لنا ضرورة مرافقتهم بعد خروجهم منها.

■ هل ما زلت تتبعون العلاج نفسه منذ التأسيس عام 2000؟

□ طبعاً لا، هناك تغيير جذري في طريقة علاج المعنّفات بعد حصول اشكالات في اثناء العمل مع 30 امرأة دفعة واحدة. سبب ذلك اختلاف الانتماءات المنطقية واللغوية والذهنية لكل واحدة منهن. الامر الذي دفعنا الى تغيير الاسلوب، فاتبعنا نموذج الوحدات بشكل تضم كل وحدة 7 او 8 نساء تتفرد كل وحدة منها ببرنامج خاص بها.

■ ما هي اصعب الحالات التي واجهتها الجمعية ولم تجد حلاً لها؟

◀ "ناهضات العنف ضد المرأة" و"ابعاد". كل هذه الجمعيات هي مراكز اصغاء في المدن، خصوصا "كفي" التي يستمع المسؤولون فيها الى مشكلات كبيرة، وبالتالي، يصل الينا عبرها العدد الاكبر. ضمن هذا الاطار، هناك ايضا الرعايا والرهبنات ومحطة تيلي لومبار.

■ ما هو العلاج المتبع للنساء المعنّفات؟

□ لدينا حياة جماعية تتضمن لقاءات توعية وجلسات للعلاج النفسي مع مرافقة دائمة لكل امرأة لتمكينها من وضع خطة لنفسها ولحياتها، وطرح اسئلة على الشكل الآتي: "لماذا انا هنا، ماذا اريد من حياتي، اين وجعي". وضع هذه الخطة يساعد المرأة المعنّفة على اكتشاف نقاط الضعف والقوة في داخلها كمراجعة ذاتية، لتليها خطوة ثانية هي تنفيذ شبه الخطوة هذه في مدة سنة ونيّف او سنتين في اثناء اقامتها في الجمعية بهدف بناء حياة جديدة. مع هذا الجانب المهم هناك نشاطات تشارك فيها النساء في معمل الخياطة، المسرح، الرسم، التطريز، الرياضة، وصنع المربيات والبرشان. ضمن هذه النشاطات تتولى المساعدات الاجتماعية مهمة التوعية القانونية والصحية والتربوية من ناحيتين: حض المرأة على اكمال دراستها، وتوعيتها على كيفية تربية اولادها لان البعض منهن لا يجيد القراءة ولا الكتابة.